أبلغ عبدالناصر الى مضيفيه السوفيات هذه المفاجأة. وبالطبع، لم يكن لعرفات أي اعتراض على هذا الامر، بل سُرَّ في قرارة نفسه من ان هناك فرصة حقيقية لارساء علاقة مع القيادة السوفياتية(١٠٩). وكتب محمد حسنين هيكل بهذا الخصوص: «لقد اقترحت على عبدالناصر انه طالما ان احتياجات الفدائيين الفلسطينيين من الاسلحة يمكن ان تتوفّر، بسهولة، من طريق مصر، فان أفضل خطة، في هذا النطاق، ان نقدّمهم الى الروس؛ وبهذا يمكن ان يديروا مباحثاتهم معهم»(١١٠). وفي موسكو، «استطاع الرئيس المصري تقديم عرفات الى كل من الكسي كوسيغن، وليونيد بريجنيف، والرئيس نيكولاي بودغورني. وبعد مضي اسبوعين، أو ثلاثة، من تلك المباحثات، أبلغ السفير السوفياتي في القاهرة الى عبدالناصر ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، بناء على توصيته، قرّرت تزويد المقاومة الفلسطينية بأسلحة تقدّر قيمتها الاجمالية بنحو ٥٠٠ ألف دولار»(١١١).

وعلى الرغم من ان جولة مباحثات الزعيم الفلسطيني مع القادة السوفيات لم تكن بالمستوى الذي بنى عرفات عليها آماله، الاّ انها تجاوزت حتى توقّعات عبدالناصر، الذي اطلع، بالتفصيل، على مجرى الحوار بين الطرفين. في هذه الجولة من المباحثات، قال السوفيات انهم ملتزمون ضمان وجود دولة اسرائيل ضمن حدودها التي كانت عليها قبل حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وقبل ان يبادر عرفات الى طلب السلاح، أجاب السوفيات بأن ليس لديهم الرغبة في دعم، أو تشجيع، الميليشيات الفلسطينية، على نطاق واسع. وحسب عرفات، فان القادة السوفيات لم يكونوا «مهتمّين لفتح حوار جدي معي. وكانوا يتعاطفون في اطار الوضع السائد، من خلال عبدالناصر، على أساس القرار الصادر عن مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢». وعندما أشار الى ان هذا القرار لا يمنح الفلسطينيين شيئاً، «فانهم لم يعطوا آذاناً صاغية، لأنهم كانوا، في ذلك الوقت، يؤكدون على مفاوضات لتسوية سلمية تعتمد على القرار ذاته». وهو ما اسرَّ به اليه، أيضاً، عضو في لجنة التضامن الافرو ـ آسيوي(١١٢).

ومع ان التحوّل بدا جليّاً في الموقف السوفياتي (وعلى ما يبدو في السياسة السوفياتية نحو منظمة التحرير الفلسطينية)، فقد كان من النادر جداً ان نادى السوفيات بأكثر من حل مشكلة اللاجئين، واحياناً كانوا يصرّحون بأن هناك طرفين للنزاع في الشرق الاوسط، هما «اسرائيل والدول العربية»، صارفين النظر، كلياً، عن أي ذكر للفلسطينيين. وهكذا نرى انه بينما كان الاتحاد السوفياتي مستعداً للتحدث، مراراً وتكراراً، عن الحقوق والمصالح المشروعة للفلسطينيين، وتقديم المساعدة الفعلية اليهم، ممثلين بـ «فتح»، وكيْل المديح لهم، الاّ انه لم يشمل، في محادثاته، الخيارات التي يلتزم بها بصدد تلك العلاقة(١١٣).

بيد ان هذه التحفّظات السوفياتية لم تكن تمنع قادة «فتح»، في تلك الفترة، عن البحث في جوامع مشتركة مع الاتحاد السوفياتي. فبعد مضي ثلاثة أسابيع من زيارة عرفات للاتحاد السوفياتي، سافر خالد الحسن وخليل الوزير (أبو جهاد) الى موسكو، تلبية لدعوة من لجنة التضامن الافرو ـ آسيوي السوفياتية. واستناداً الى ما رواه ابو جهاد، «فقد كان لدى السوفيات شكوكاً مضمرة عديدة حول خياراتنا. وفي هذا الصدد، ارادوا معرفة كل ما يتعلق بمعلومات عن حركتنا، وبالتحديد كانوا طامحين الى معرفة تفاصيل علاقتنا مع الصين، ولماذا، وكيف، يزوّدنا الصينيون بالاسلحة؟». واستطرد ابو جهاد، انه في هذه اللحظة بالذات، «تماسكت اعصابي، وقلت لهم، انني غاضب جداً، ولكني سوف أكون واضحاً جداً كذلك... اننا [أي ' فتح '] طرقنا بابكم أكثر من مرة، وفي الحقيقة قمنا بطرق الباب أكثر من عشر مرات خلال السنوات الاخيرة، لكننا لم نجد منكم أي استجابة على الاطلاق، فكيف